مفهوم
الخلافة الإسلامية

المنظمة العالمية لخريجي الأزهر

مركز تفنيد الفكر المتطرف

سلسلة: تفنيد الفكر المتطرف (٢)

المشرف العام

أ . د . محمد عبد الفضيل القوصي

رئيس مجلس الإدارة

أسامة ياسين

المدير العام

د . حمد الله الصفتي

كتاب: مفهوم الخلافة الإسلامية

مؤلف: أ . د . عبد الفتاح العوار

رقم إيداع: رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٦٦٤١

الترقيم الدولي: 978-977-85462-7-9

تحذير

جميع الحقوق محفوظة للمنظمة العالمية لخريجي الأزهر الشريف، وغير مسموح بنشر، أو إعادة نشر، أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه علىٰ أجهزة استرجاع أو استرداد، أو تسجيله علىٰ أي نحو، بدون موافقة كتابية مسبقة من المنظمة.

المنظمة العالمية لخريجي الأزهر الشريف

مركز تفنيد الفكر المتطرف

جامعة الأزهر ـ الحي السادس ـ مدينة نصر

هاتف: ٢٣٨٦٨١١٤ ٢٠٢+

فاكس: ٢٣٨٦٨١١٦ ٢٠٢+

بريد إلكتروني: info@waag-azhar.org

موقع إلكتروني: www.waag-azhar.org

المنظمة العالمية لخريجي الأزهر

سلسلة
تفنيد الفكر المتطرف (٢)

فهم الجماعات المتشددة للخلافة
وبيان سفه دعوة داعش لإقامتها
في العراق والشام

إعـــداد

أ.د / عبد الفتاح عبد الغني العواري

عميد كلية أصول الدين

جامعة الأزهر ـ القاهرة

إشراف وتقديم

أ.د. محمد عبد الفضيل القوصي

عضو هيئة كبار العلماء ـ نائب رئيس المنظمة

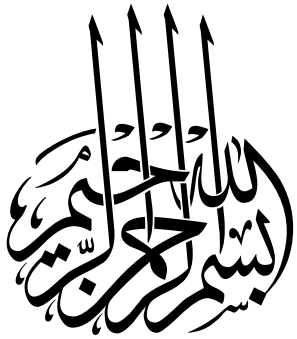
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم أ. د. محمد عبد الفضيل القوصي

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

في كتابه المُتْرَع بالثراء والرمزية (الفتوحات المكِّية) يقرر الشيخ الأكبر «محيي الدين بن عربي» أن الذات المسلمة الحقّة: لا يمكن أن تكون كذلك حين يتوقف نموها الوجداني الباطني عن الترقِّي والصعود والارتفاع، فلابد لها - في علاقتها بالكون وخالق الكون - من «معراج روحي» تَرْقى به من حالٍ وجدانية نازِلةَ: إلى حالٍ أخرى صاعدة هي أكثر رفعة وبهاءً، وإلا تصبح رهينةً للجمود والتحجُّر، وقرينةً للسُّبَات والمَوَات!!

بهذا «المعراج الرُّوحي» تتسع الآفاق اللامتناهية للذات البشرية، فتضحى الكائنات كلها- لدى تلك الذات - نابضةً بإكسير الحياة، تَشْدُو لخالقها من غير لسان، وتَسجد من غير كيان، فترى الوجود بعين الجمال والحب، والرُّوح والسكينة، فتمتلك بذلك ناصية الكون بأسره، بأبعاده المنظورة وغير المنظورة.

لو أن هذه النظرة الشفيفة المُرْهفة قد امتزجت بصورة الإسلام في

عصورنا الراهنة - تلك العصور التي اصطبغت بقيم المادة - من فوقها ومن أسفلَ منها- لَكَان لها فعل السِّحْر في حنايا النفوس الظامئة إلى الحق، والتوّاقة إلى الأمن والعدل، ولكانت بَلْسَمًا لِكَثيرٍ من أدواء العصر وشكاياته، ولَتلَمَّست طريقها إلى الأفئدة والعقول، تنير حُلكَة الظُّلمة وسوادها البهيم!!

لو أن هذه النظرة الشفيفة المُرْهفة قد امتزجت بصورة الإسلام في عصورنا هذه: لما وَجَدْتَ من المسلمين إلا قومًا تسكن المَرْحمة منهم حنايا الصدور، يَصفحون الصفح الجميل، ويألمون لأَنَّات الثكالى، وآلام المستضعفين، ويرتفعون فوق سخائم الكراهية، وسواد الحقد والفظاظة، فلا يرون في بني الإنسان في كل مكان إلا قلوبًا تهفو إلى جمال الحق، وتستروح بهاء العدل، وتتوق إلى القيم العليا، دون عنف مقيت، ولا سَوَاد كريه، ولا دِماء تُراق، أو أشلاء تتمزق، أو رؤوس تُقَطَّع!!

بيد أن هذه الرؤية الشفيفة المُرْهفة - التي تمتزج فيها الشاعرية بالحكمة - ويالللأسف - قد انقلبت في عصرنا الراهن من الضد إلى الضد، بل من النقيض إلى النقيض.. فأين هِيَ من ذلك التصوّر البئيس الذي خُيِّل لأصحابه أن «الإسلام» بشموله وعظمته ورحمته قد انزوى في «شهوة الاستئثار بالسلطة»، وانحصر في «القفز» على أَزِمَّة الحكم، فأمسى «الإسلام» - لدى هؤلاء النفر - حبيس «لُعْبَة السياسة» حيث المناورات والألاعيب، وذهبت آفاقه العليا، ومراميه الرفيعة أدراج الرياح؟!.

أين تلك الرؤية الشفيفة المُرْهفة من أدبياتهم السوداء التي انشق

العالم بمقتضاها انشقاقًا قاطعًا إلى فسطاطين:«فسطاط» الإيمان الذي لا يَلِجَهُ إلا أولئك النفر، و«فسطاط» الكفر الجاهلي الذي لا مناص من إزاحته والخلاص منه، ثم انطلق أصحابها - بمقتضى لُعْبَة السياسة- يعيثون في الوطن تخريبًا ودماءً وأشلاءً، بعد أن ساقوا شباب الأمة الغَرير إلى أتون العداوة، وجحيم البغضاء، ثم تركوهم ينفثون حميم العنف وجحيم التدمير: رغبة في شهوة الحكم، ولهفة على كراسي السلطة، وتَلَمُّظًا إلى مقاعد السلطان، وكأنه لم يَتبَقَّ من «الإسلام» كله - الرُّوح والقيم والمبادئ - سوى «سلطة» تُقْتَنَص، و«حكمٍ» يُعْتَلَى، و«سلطانٍ» تهون في سبيله الأرواح، وترخص الدماء!

أين تلك الرؤية الشفيفة المُرْهفة من أولئك الذين يتمسَّحون «بالسلفية» ويدَّعون وراثتها، ثم يتخذونها ستارًا زائفًا لما طُبِعُوا عليه من التحجُّر والغلظة وأحادية الرؤية، حتى استغرقوا اهتمام المسلمين في الأشكال المستوردة، والمظاهر الجافة، التي فَتَّحت بابًا -مُشْرَعًا- اتَّكَأَتَ عليه - فيما بعد - دَعَاوَى الإرهاب من كل حَدَب وصوب، وأعني به ما سُمِّي في أدبياتهم المتداولة «قتال الطائفة الممتنعة»، والتي تكاد تكون جذوة الشر المستطير الذي أصبح مرتَكَزًا عَقَديًّا لكثير من جماعات العنف قديمًا وحديثًا.

أين تلك النظرة الشفيفة المُرْهفة من تلك المنظمات الإرهابية ذات الأسماء البغيضة التي انطلقت في زماننا هذا تهتف زورًا وبهتانًا باسم

الإسلام وخلافة الإسلام، ثم يعيث دعاتها في الأرض تقتيلًا وتمثيلًا، وقطعًا للأعناق وبترًا للرقاب، أمام عين العالم وبصره، دون أن تطرف لهم عين، أو يخفق لهم قلب، بل دون أن يطرأ على ذواتهم المتحجرة مقدار الجُرم الذي جنوه في حق الإسلام حين تقترن صورته بصورة الدماء والأشلاء، والأعناق والرقاب، بل حين يتحول «الإسلام» بتأثير صنيعهم هذا - في نظر الكثير - إلى «وباء» يجتاح الكون بأسره؟ وماذا تكون «الصورة الذهنية» التي انطبعت في ذاكرة «أطفال العالم» عن «الإسلام» الذي يدّعون رفع رايته، وإعلاء كلمته؟

ثم ألا يلتفت هؤلاء وأولئك إلى أن ثمة «جهادًا روحيًا» إسلاميًا في اتجاه مختلف ينبغي أن تصعده البشرية إلى آفاق السمو العليا روحًا وعقلًا ووجدانًا، يَحْفِز الإنسانية إلى أن توفِّر لبنيها من الجائعين والعراة والمرضى: لقمة العيش وجرعة الدواء، وما يقيم أوَدَ الحياة ويدفع بها إلى الخلاص من الأنانية الفردية المقيتة التي أثمرتها الحضارة المادية النفعية؟

لعلنا نحاول في هذه السلسلة العلمية أن نعيد الحق إلى نصابه، فنفد ما ألصقه أولئك النفر بالإسلام من شبهات وأغاليط، لنبصر الشبيبة بحقيقة الإسلام، وما ينبغي أن يكونوا عليه في طريقهم إلى مرضات ربهم، واتباع نبيهم ﷺ.

والله نسأل التوفيق والقبول، وهو خير مسؤول وأعظم مأمول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

نحمد الله رب العالمين ونصلي ونسلم على خاتم رسله وصفوة خلقه سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

فلا يخفى على أحدٍ ما يمرّ به العالم بصفة عامة، والأمة الإسلامية بصفة خاصة في الآونة الأخيرة من ارتباك في المشهد، وأزمات سياسية طاحنة، وصراعات أمنية مُفْزعة، ومعارك فكرية اصطلى بنيرانها الشرق الإسلامي، مما نتج عن جميع ذلك ممارسات خطيرة وظواهر محزنة كالتكفير، والإرهاب، والعنف، والإلحاد وغير ذلك مما كان سببًا أصيلًا، وركنًا ركينًا في تهديد السلم العالمي، وضرب استقرار كثير من المجتمعات الإنسانية في مقتل، حتى أصبح العالم كله - إن لم تتداركه رحمة الله - مهددًا بالدخول في دوامة الفوضى المدمّرة، والعنف الذي لا يبقي ولا يذر.

وانطلاقًا من المسئولية الشرعية والإنسانية أحببتُ أن أُشارك بكتابة هذه الورقة في قضية الخلافة مساهمة مني بجهدي المتواضع لحسم الخلاف حولها، وذلك بإيراد ما يثار حولها من فهم خاطئ للجماعات

المتشددة كالداعشية وأخواتها، وإخراجهم لها عن مفهومها الصحيح، وتحميلها ما لا تحتمل مخالفين في ذلك الفهم الشرعي السديد المؤسس على الجمع بين صحيح المنقول، وصريح المعقول، ومطابقة الواقع الذي ينبغي أن يُسْلك في مثل هذه المقامات الدقيقة.

وقد تناولت هذا الموضوع «**فهم الجماعات المتشددة للخلافة، وبيان سفه دعوة داعش لإقامتها في العراق والشام**»، من خلال أمرين:

أولًا: فهم الجماعات المتشددة للخلافة وشبهتهم في ذلك.

ثانيًا: الرد العلمي على ما استند إليه هؤلاء.

فهم الجماعات المتشددة للخلافة

وشبهتهم في ذلك:

إنَّ بعض الجماعات المتشددة التي ظهرت على الساحة الآن مثل: (داعش) وأخواتها كطالبان، وبوكو حرام وغيرها تدعو إلى هجرة المجتمعات الإسلامية، واعتزالها، ويحكمون عليها بالكفر؛ لأنهم مقيمون في بلاد كافرة، ويرون وجوب الهجرة منها، وينادون بتكوين دولة الخلافة، وينَّصبون واحدًا منهم أميرًا عليهم - كما صنعت داعش في بلاد العراق والشام - ويأخذون له البيعة، ويحاربون من أجل تحقيق غرضهم، فيهلكون الحرث والنسل، ويقتلون الأطفال والنساء والشيوخ بل ويقتلون الحيوانات والطيور، ويهدمون البيوت، والمدارس، ودور العبادة، كالمساجد والكنائس وغيرها، بل وصل بهم الإجرام إلى هدم أضرحة الصالحين، والاعتداء الغاشم على آثار الأمم الماضية التي تمثل للبشرية جمعاء قيمة عالية وثروة نفيسة؛ لأنها تحكي لنا تاريخ أمم سبقتنا عمرت الأرض، وارتقت بهم الحياة[1].

- شبهة هؤلاء الحالمين بإقامة خلافة في العراق والشام:

يزعم هؤلاء الواهمون من (الدواعش) وأمثالهم أن دولة الخلافة

(١) يراجع: كتاب الثقافة الإسلامية المفهوم الصحيح لمنصب الخلافة) مقرر على المرحلة الثانوية بالأزهر وقد شاركت في صياغة مادته، وكتابة موضوعاته ص٣١.

ستقام قريبًا وبالتالي ستكون هناك خلافة، وقد استندوا في زعمهم هذا على عدة أحاديث:

(أ) قوله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشرقها ومغربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها**»(١).

(ب) قوله ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك بيت مدر ولا وبر إلا دخله**»(٢).

(ج) قوله ﷺ: «**ستفتح رومية بعد القسطنطينية**»(٣).

(د) قوله ﷺ: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا شَاءَ، ثُمَّ تَكُونُ الْخِلَافَةُ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَتَكُونُ مُلْكًا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَرْفَعُهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة - بَابُ هَلاَكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ (٢٨٨٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٥)، وأورده الهيثمي في المجمع (٦/ ١٤)، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصحيح..

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك - كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٥٩٨)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٧/ ٢٢٣).

- وندفع هذه الشبهة من عدة أوجه:

الوجه الأول: لَمَّا كان من أساليب العرب التعبير بالشيء الكبير عن الشيء الصغير لبيان أهميته، وكذلك عن القليل بالكثير يمكن حمل حديث بلوغ مُلك الإسلام ما زُوي للنبي ﷺ من الأرض على اتساع الرقعة التي يملكها المسلمون، وقد حدث ذلك فإن العرب في جزيرتهم المحدودة وصلواْ بفضل الإسلام إلى أماكن شاسعة من الأرض، فوصلوا حدود الصين شرقًا، والمحيط الأطلسي غربًا، لدرجة أن أحد خلفائهم في بغداد تحدَّى الغمامة في السماء، وقال لها: في أي مكان ينزل ماؤك سيأتيني خراجك.

الوجه الثاني: إذا جاوزنا الملك الماديّ إلى الملك المعنوي، فإن الدين قد وصل العلم به، والإفادة منه إلى أقاصي البلاد من كل ناحية، وله دراسات في كل الجامعات، وكل الحضارات قد قبست منه، كما أنه ظاهر على كل الأديان، التي ليست لها دعامة من حجة أو مبادئ تستطيع بها مواجهته، وإذا كان في بعض الدول الغير الإسلامية قوة، فإن قوتها ليست بسبب أديانها، فبينها وبين الأديان فجوة كبيرة أو عداء شديد، وبخاصة في مجال التطبيق في الحياة.

الوجه الثالث: إذا كان القرآن الكريم قد أخبر عن ذي القرنين بأنه بلغ مطلع الشمس ومغربها، ومكَّن الله له في الأرض، فهل معنى ذلك أنه بلغ اليابان شرقًا وأمريكا غربًا؟

إن المراد من الحديث هو بيان سعة سلطان الدين، والسعة أمر نسبي أو مقولة بالتشريك تصدق بالقليل والكثير.

الوجه الرابع: هل فتح رومية مراد به المدينة المعروفة حاليًا أو المراد أن الدين سيسيطر على ملك الدولتين الكبيرتين إذ ذاك، وهما الفرس والرومان؟

ولقد تم ذلك بحمد الله في عصر الخلفاء، والسلف الصالح، ودخل الإسلام كل المستعمرات التي كانت تسيطر عليها الدولة الرومانية، ووصل الفاتحون أيام الدولة العثمانية إلى أسوار فيينّا.

على أن الفتح لا يتحتم أن يكون بالسيف، فقد انتشر الإسلام بوسائل أخرى، ووجدت له جاليات في أكثر البلاد من العالم القديم والحديث.

الوجه الخامس: إذا كانت هناك بشرى بالخلافة فإننا نرجو أن يتمم الله ذلك، ولكن لابُدّ من الأخذ بالأسباب، والاستعداد الكامل لمواجهة كل قوى العالم بأسلحتها المتطوّرة الفتاكة، ولا يتم ذلك إلا بتوحيد الدول الإسلامية أو تقاربها ثقافيًا، واقتصاديًا وسياسيًا فهل يوجد ذلك الآن؟

إن النداءات والصيحات قامت بين الحين والآخر من أجل الجامعات الإسلامية، ولكن عقبتان كؤودتان وقفتا في الطريق، هما الاستعمار من ناحية، وعدم استعداد النفوس والرءوس الحاكمة لقبول الإمرة تحت قيادة

واحدة من ناحية أخرى، ومع ذلك لا نفقد الأمل في تحقق اتحاد إسلامي على أن يكون معه عمل.

الوجه السادس: مثل ذلك يقال في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾[1].

فالوعد بالتمكين قد حققه الله تعالى، وورث المسلمون أرض المشركين في جزيرة العرب، وآمنهم على دينهم وعبدوه لا يشركون به شيئًا، وذلك بفتح مكة التي كانت معقل الشرك، فصارت بلدًا إسلاميًّا بل تعدَّى ذلك إلى معاقل الشرك في بلاد أخرى، وفتحها الله على أيدي المسلمين، وكانت لهم فيها الدولة والسلطان، ولكن نرجو أن يكون هذا التمكين على نطاق أوسع، ولكن كما سبق ذكره، لابُدَّ لذلك من اتخاذ الأسباب، ودراسة الظروف، والنصوص الشاهدة على ذلك كثيرة في القرآن والسنة، فالآمال لابُدَّ معها من أعمال، وقد قال الله تعالى لمن تنازعوا في الخيرية عند الله: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن

(١) سورة النور: ٥٥.

يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[1].

وقال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل... وإن قومًا غرتهم الأماني فقالوا نحن نحسن الظن بالله كذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

إن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة لمن يقعدون عن طلب الرزق، والأماني الخيالية رأس المفاليس يقول الحكيم:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

الوجه السابع: صلاح المجتمع الإسلامي بوجه عام أُمنية كل مسلم، فهو يمتعض من جعله ضمن الدول النامية بعد أن كانت له الأمجاد في عصوره الزاهية، حيث كان يخطب ودّه من لم يكونوا إذ ذاك شيئًا مذكورًا.

إن أمل الإصلاح أمل كبير، وكلما كبرت الآمال كبرت المسؤولية في الإعداد لتحقيقها.

وإذا كان الإسلام قد أقام دولة جديدة بهذه القوة التي انهارت أو ضعفت أمامها أقوى الدول المجاورة إذ ذاك، فإن للإعجاز في ذلك دخلًا

(١) سورة النساء: ١٢٣، ١٢٤.

كبيرًا ربما لا يتكرر، لأن الله سبحانه وتعالى قد وعد رسوله باستخلاف المؤمنين في الأرض وتمكين الدين لهم، وتبديلهم من بعد خوفهم أمنًا، ومع ذلك لم يتم له ذلك إلا بعد بناء الرجال، وإعداد النفوس بالعقيدة الراسخة، والتضحية في سبيل المبدأ وشدة الحب للقيادة، وتطلعهم إلى منازل الآخرة قبل منازل الدنيا وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

قيل للإمام الشافعي: هل لنا أن نمكن أو نبتلى؟ فقال: لا نمكن حتى نبتلى، فإن الله لم يعطِ نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله عليهم أجمعين حتى صبروا، ومن حكم شعراء العرب:

بصرت بالراحة العليا فلم أرها تُنال إلا على جسر من التعب

ولتكن لنا عبرة بالمكتشفين والمخترعين الذين لم يصلوا إلى ما يريدون إلا بعد الجهد العنيف، ولسنواتٍ طوال.

يقول (ثوروا) وهو فيلسوف يدعو إلى البساطة والعودة إلى الفطرة: إذا كنت قد شيَّدت بأمانيك قصورًا في الهواء، فلا تظن أن جهدك ضاع فإن القصور لا تقوم إلا في الهواء، ولكن عليك أن تبني لها أساسًا ثابتًا في الأرض. اهـ[2].

(١) سورة الرعد: ١١.

(٢) يراجع: هذا بيان للناس ج ١ ص٢٥٥ - ٢٥٨.

الوجه الثامن: نحذر المجتمع - وخاصة الشباب حتى لا يُغرَّر به - من فكر هذه الجماعات التكفيرية فهي تمثل أكبر خطر على الإسلام من الأعداء، حيث شوَّهت صورة الإسلام السمحة، وأساءت إلى حقائقه الناصعة، وأظهرته بصورة غير صورته الصحيحة، كما أنهم بزعمهم يحلو لهم تكوين دولة الخلافة، وتنصيب واحدٍ منهم أميرًا عليهم، وأخذ البيعة له هم بذلك يفرِّقون الجماعة ويشقون عصا الطاعة.

وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة تُحذِّر من مثل هذا الصنيع وتجرِّم فاعله، وتعتبر هؤلاء (الخوارج) من البغاة والمجرمين والمفسدين في الأرض، ووضَّح القرآن جزاءهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

ومن الأحاديث الشريفة التي تصدت لهذا الفكر التكفيري، وهذا الفساد الاجتماعي الخطير:

١- قوله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه مَنْ**

(١) سورة المائدة: ٣٣.

فارق الجماعة شبرًا فمات فميتة جاهلية»[١].

٢- وقوله ﷺ: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية**»[٢].

٣- وفي رواية: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، ثم مات مات ميتة جاهلية ومن قُتل تحت راية عمية يغضب للعصبة، ويقاتل للعصبة، فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برَّها وفاجرها، لا يتحاش من مؤمنها، ولا يفي بذي عهدها فليس مني**»[٣].

٤- وقال أبو حذيفة رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: إنَّا كُنَّا في جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «**نعم**»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَن**» - يعني: فساد - قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنُّون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**». فقلت: هل بعد ذلك الخير من

(١) أخرجه مسلم كتاب الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، وتحذير الدعاة إلى الكفر.

(٢) أخرجه مسلم في نفس الموضع السابق.

(٣) أخرجه مسلم في نفس الموضع السابق.

شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم مَنْ أجابهم إليها قذفوه فيها**». فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: «**نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**». فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن نقض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[١].

قال الإمام النووي رحمه الله: «وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك فتجب طاعته في غير معصية، وفيه معجزات لرسول الله ﷺ وهي هذه الأمور التي أخبر بها وقد وقعت كلها». اهـ[٢].

الوجه التاسع: في بيان بطلان دعوى داعش وزعمها إقامة الخلافة: محاولة جمع المسلمين على إمام واحد محاولة مستحيلة، وفرضها على الناس يترتب عليه إراقة دماء المسلمين، والقتل المستمر بين الذين يحكمون بهذه الخلافة المتوهمة وبين بقية دول المسلمين التي لا يمكنها تحقيق هذه الأحكام.

وإذا كان من الصعب بل من المستحيل مع اختلاف المسلمين في

(١) أخرجه مسلم في نفس الموضع السابق.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/ ٢٣٧.

اللغة، وتباعد أقطارهم وتوزعها في أكثر من قارة أن تكون لهم خلافة واحدة يلتزمون بها جميعًا فإن من الممكن أن يقوم (اتحاد) بين الأقطار الإسلامية مثل: الاتحاد الأوروبي الذي يجمع بين دول عدة مختلفة في اللغات، وفي الفكر والثقافة والدين، والتاريخ والأصل، وبحيث تكون للاتحاد سياسة عامة ومصالح مشتركة وسوق اقتصادية، ولكن مع استقلال كل دولة بنظامها الخاص، ورئيسها وسياستها الداخلية، وانفرادها بإدارة شؤونها انفرادًا كاملًا.

لقد انقسمت الدولة الإسلامية إلى دول وأقطار لكل منها حاكم، ملك أو رئيس أو أمير، وصارت لها حدود برية وبحرية وجوية لا يمكن المساس بها أو الاعتداء عليها، ومع هذا التطور العالمي لكل دول العالم أصبح من المستحيل إقامة خليفة واحد أو إمام واحد لكل المسلمين، لأن كل دولة اليوم لها رئيسها المستقل ولها حدودها الجغرافية التي تميزها عن غيرها. اهـ[1].

الوجه العاشر: مع الأخذ في الاعتبار حين نرد على هؤلاء فكرتهم المغلوطة، وسلوكهم المعوج غير السوي - أن الخلافة كما كانت في صدر الإسلام ليست أمرًا تحتمه النصوص من القرآن الكريم أو السنة النبوية، فلم يرد في أي منهما ما يشير إلى مسألة «الخلافة».

(١) يراجع: كتاب الثقافة الإسلامية موضوع المفهوم الصحيح للخلافة ص٣٣.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ قد فارق الدنيا ولم يحدد للمسلمين شكلًا معينًا للحكم من بعده، وإنما ترك الأمر شورى بين المسلمين، فأي نظام سياسي الآن يحقق العدل والمساواة يكفي في تحقيق الحكم كما أراده الإسلام، وإذا وفَّر النظام الديمقراطي الآن أمر الشورى ومبدأ المساواة والعدالة، وحرية الناس فهو نظام يحقق أهداف الإسلام في قضية الحكم وسياسة المسلمين اهـ[1]. والله أعلم.

❁❁❁

(١) يراجع: الشورى في الإسلام مفهومها - ضوابطها الشرعية للكاتب، سلسلة مقالات منشورة في مجلة الأزهر.

الفهرس

تقديم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الفضيل القوصي ٥
مقدمة ٩
فهم الجماعات المتشددة للخلافة ١١
شبهة الحالمين بإقامة خلافة في العراق والشام ١١
الجواب عن هذه الشبهة ١٣
نصوص شريفة تتصدى لهذا الفكر ١٨
الفهرس ٢٣